ألف حكاية وحكاية (٧٥)



ليلة مع الإنسان الآلى

وحكايات أخرى

تأليف
يعقوب الشارونى

رسوم
عادل البطراوى

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى
الفجالة - القاهرة

ليلة مع الإنسان الآلى

خرجَ الأبُ والأمُّ ، وتركا الطفلةَ وعمرُها ٣ سنواتٍ ، مع جدتِها شبهِ المشلولةِ .

وجاءَ وقتُ نومِ الطفلةِ ، فقالَتْ لها الجدةُ : " تصبحين على خيرٍ " .

وراقبَتْها على شاشةِ الكمبيوتر وهي تدخلُ إلى غرفتِها الصغيرةِ.



وهناك أضاءَ الإنسانُ الآليُّ النورَ ، ثم أمسكَ يدَ الصغيرةِ حتى صعدَتْ إلى فراشِها ، وبهدوءٍ أمسكَ بطرفي الغطاءِ ، وبَسَطَهُ فوقَ الصغيرةِ .

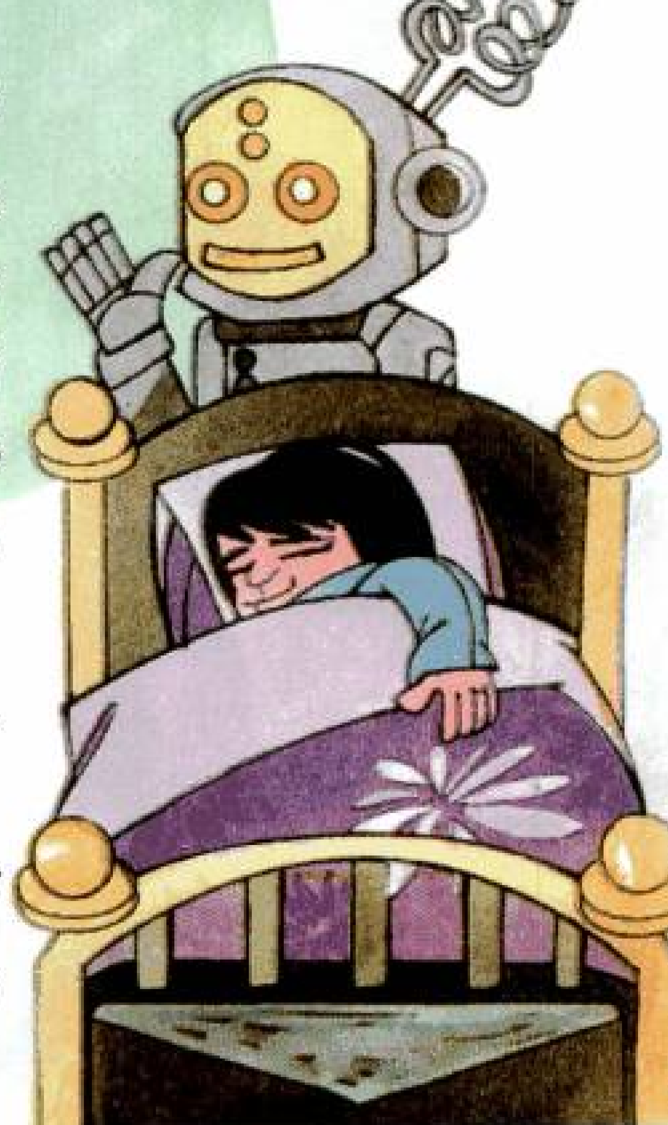
وقبلَ أن يطفئَ النورَ القوِيَّ ، أشارَتِ الطفلةُ بيدِها إلى جدتِها التي ترى صورتَها على شاشةِ الكمبيوتر قائلةً : " تُصبِحينَ على خيرٍ " . وأجابتْها الجدةُ عن طريقِ الشاشةِ بنفسِ العبارةِ .

ثم أطفأ الإنسانُ الآلِيُّ الشاشةَ وأطفأ النورَ القوِيَّ ، ثم وقفَ إلى جانبِ السريرِ كالحارسِ .

وبعدَ ساعةٍ ، استيقظَتِ الصغيرةُ ، وقالَتْ : " أريدُ كوبَ ماءٍ . "

وتحرَّكَ الإنسانُ الآلِيُّ إلى زجاجةِ ماءٍ ، وصبَّ كوبًا قدَّمَهُ إلى الصغيرةِ. ثم قالَتْ : " أريدُ الذهابَ إلى الحمَّامِ " .

فأضاءَ النورَ القوِيَّ ، ورفعَ الغِطاءَ ، وأمسكَ بيدِ الصغيرةِ ، وقادَها إلى الحمَّامِ ، حيثُ أضاءَ لها النورَ ، وانتظرَها حتى خرجَتْ ، ثم أعادَها في رقةٍ إلى فراشِها ، وأعادَ فوقَها الغطاءَ وهي تبتسمُ له في سعادةٍ .



عندئذٍ أطفأ النورَ لتعودَ الصغيرةُ مرةً أخرى إلى النومِ .

هذه إحدى صورِ المستقبلِ ، كما شاهدناها مُجسَّمةً في مدينةِ ديزني العلميةِ .

خمسة أزرار فى حمام

فـى مدينـةِ والــت ديزنــى العلميــةِ ، زُرْنــا أحــدَ بيــوتِ المســتقبلِ ، عندمــا تدخلُــهُ تضغــطُ أزرارًا ، فتـنزاحُ الســتائرُ عــن النوافذِ ، وتُضاءُ الحوائطُ كأنما تشعُّ من نفسِها نورًا ، وتنطلقُ موسيقى هادئةٌ ، ويعملُ التليفزيون الذى أصبحَتْ شاشتُهُ رقيقةً تغطى الحائطَ كلَّهُ ، وأمامَها لوحةُ مفاتيحَ تتحكّمُ فى اختيارِ مئاتِ القنواتِ .



لكنَ الغريبَ أنه ، عندما تدخـلُ الحمـامَ ، تجـدُ إلى جـوارِكَ خمسـةَ أزرارٍ ، أحدُهـا يرفـعُ غطـاءَ مقعـدِ الحمـامِ ، والثانى يرفعُ الغطاءَ الدائـرىَّ الذى تجلسُ فوقـه ثـم يُعيـدُهُ إلى مكانـهِ . وإلى هنـا والأمرُ لا يـزالُ معقـولاً ، وإنْ كـان يُفـترَضُ أن الإنسـانَ أصبـحَ أكسلَ من أن يستخدمَ يديْهِ فى أبسطِ الأشياءِ .



لكن العجبَ العجابَ كان في الزرِّ الثالثِ، الذي يدفئُ جوفَ مقعدِ الحمامِ، والرابعِ الذي تضغطُ عليه فيتمُّ تنظيفُ الإنسانِ، والزرِّ الخامسِ الذي يجفِّفُكَ بعدَ التنظيفِ.

وقالوا إن هذه الأزرارَ تساعدُ أمَّ الأطفالِ الصغارِ، حتى لا تستدعِيَها نداءاتُ الأطفالِ كلما استخدموا الحمامَ.

ولعلى كنتُ أتوقَّعُ وجودَ زرٍّ سادسٍ، يُعيدُ ملابسَ الإنسانِ إلى ما كانَتْ عليه قبلَ استخدامِ الحمَّامِ، فلم أجدْ، لكننى قلتُ لنفسى: " لابد أن أجدَها فى زيارتى القادمةِ لديزنى لاند. "

أطفال العالم فى فصل واحد

فى مكتبةٍ بإحدى مدارسِ القاهرةِ ، حكَيْتُ للصغارِ ، تلاميذِ المرحلةِ الابتدائيةِ ، ما شاهَدْتُهُ فى " مدينةِ ديزنى العلميةِ " ، عن الفصلِ الدراسىِّ الذى يضمُّ عددًا من التلاميذِ ، كلٌّ واحدٍ منهم فى قارةٍ مختلفةٍ ، يتابعون مع مُدرِّستِهم التى تبعدُ عنهم آلافَ الكيلومتراتِ ، درسًا عن الليزر على شاشاتِ الكمبيوتر .



ثم سألتَهم : " عندما ينتشرُ استخدامُ هذا الإنجازِ العلمِىِّ ، ويستفيدُ منه التعليمُ فى مصرَ والعالمِ ، فما هى أهمُّ آثارِ ذلك على المستقبلِ ؟ "

قالَ أحمدُ ، وعمرُهُ ١٢ سنةً : " سيصلُ التعليمُ إلى كلِّ طفلٍ ، حتى لو كانَ يرافقُ والدَهُ على سطحِ باخرةٍ ، أو يعيشُ معه بجوارِ آبارِ بترولٍ في وسطِ الصحراءِ . "

وقالَتْ سلمى وعمرُها ١١ سنةً : " سنتمكَّنُ من رؤيةِ ومتابعةِ التجاربِ العلميةِ ، مهما كانَتْ تكلفتُها غاليةً أو أدواتُها نادرةً أو خطورتُها شديدةً ، مثل التجاربِ حولَ الطاقةِ النوويةِ . "

وقالَ أدهم وعمرُهُ ٩ سنواتٍ : " لن يصبحَ التعليمُ المتميزُ للقادرينَ فقط ، بل سيكونُ مُتاحًا بنفسِ المستوى لكلِّ طفلٍ . "

أمَّا ريهام ، ابنةُ العشرِ سنواتٍ ، فقد اختتمَتِ الحديثَ قائلةً :

" هذا التطورُ سيجعلُ من أطفالِ العالمِ كلِّهم أصدقاءَ مُتفاهمينَ ، مهما اختلفَتْ أوطانُهم أو جنسياتُهم أو ألوانُهم . "





الإنسان يتحول إلى ذرات ! !

هل هذا الذى رأيناهُ فى عالمِ مدينةِ ديزنى العلميةِ ، سخريةٌ من أحلامِ العلماءِ ، أم هو تنبُّؤٌ بالمستقبلِ ؟

لقد جاءوا بأرنبٍ وضعوه فى آلةٍ جبارةٍ ، تقومُ بتحويلِ الأحياءِ إلى جزيئاتٍ ، ثم تُعيدُهم إلى شكلِهم الأصليّ .

وبعدَ انفجاراتٍ واهتزازاتٍ وبخارٍ ودخانٍ ، انتهتِ التجربةُ بأنْ خرجَ من أنبوبةِ الاختبارِ مخلوقٌ مشوَّهٌ غريبٌ ، له عيونٌ حمراءُ ، وقرونٌ سوداءُ ، وجلدٌ مثلُ جلدِ التمساحِ ! ! ومع ذلك قرَّروا أن يُعيدوا التجربةَ مع الإنسانِ .

ودخَلْنا قاعةً كأنها كرةٌ من الرصاصِ ، ودخلَ الشابُ المُتطوّعُ إلى أنبوبةِ الاختبارِ الضخمةِ ،و تمَّتْ عليه كلُّ خطواتِ التجربةِ ، من حرارةٍ وبرودةٍ ، وضوءٍ وظلامٍ ، وإضافةِ موادَّ ، وتغييرِ ضغطٍ ، فماذا كانَتِ النتيجةُ ؟ !

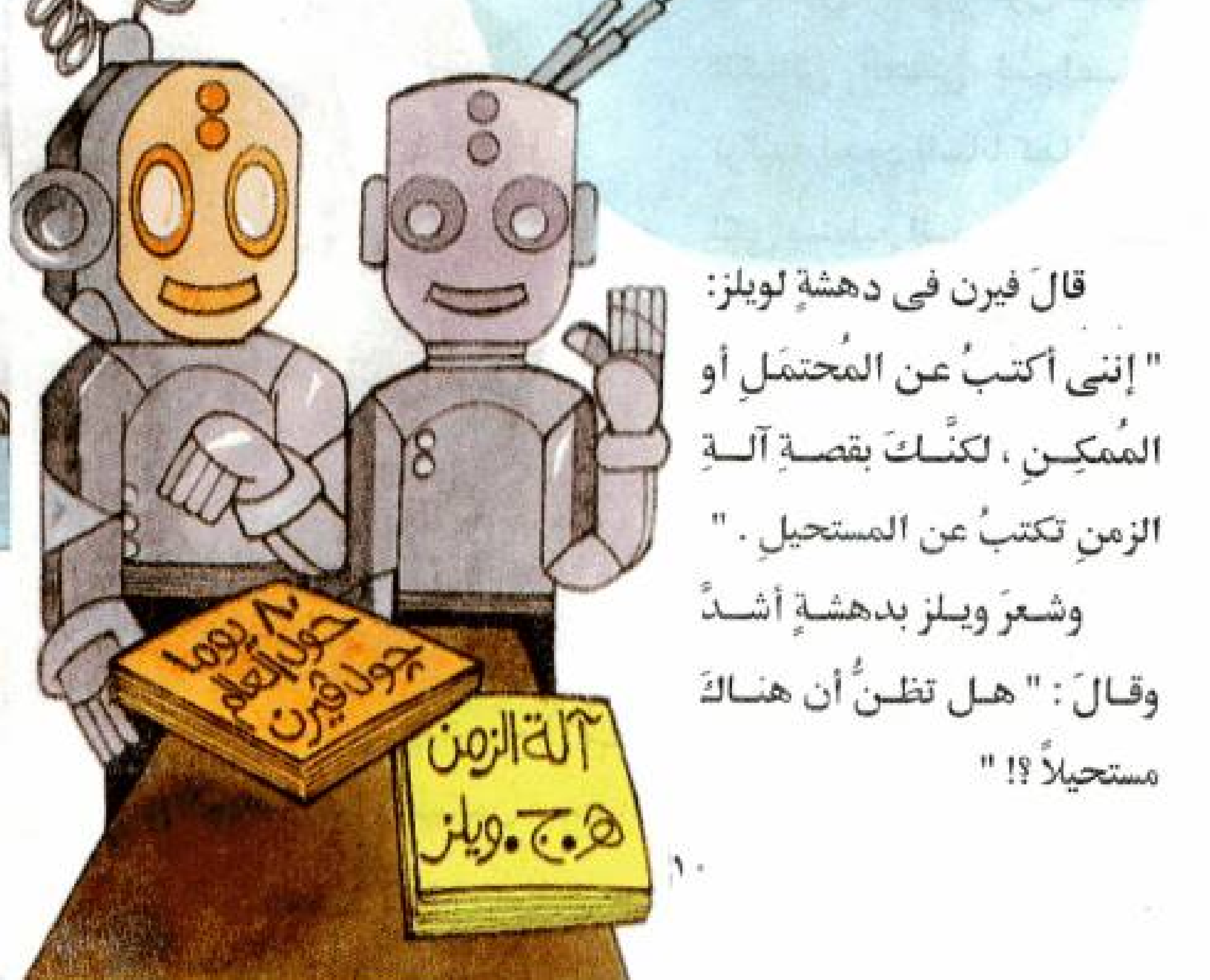
بعدَ تفكيكِ الجسمِ البشريِ وإعادةِ بنائِهِ ، رأينا أمامَنا وحشًا يخرجُ من أنبوبةِ الاختبارِ ، يجمعُ شكلُهُ ما بين التنينِ والغولِ والديناصورِ !!



إنه حلمٌ من أحلامِ المستقبلِ ، يدورُ حولَ تفكيكِ الكائنِ الحيِّ ، ثم إعادةِ تركيبِهِ ليعودَ إنسانًا كمَا كانَ ، لكي يستطيعَ السفرَ عبرَ مسافاتِ الفضاءِ الشاسعةِ بسرعةٍ أكبرَ من سرعةِ الضوءِ ، فتتحوّلُ الكتلةُ إلى طاقةٍ ، ثم تعودُ الطاقةُ لتتحوَّلَ إلى كتلةٍ ، فيعودُ الإنسانُ إنسانًا مرةً أخرى .

إنه حلمٌ يبدو لنا الآن مُستحيلاً ، لكنْ مَنِ الذى يدرى اليومَ ، ما الذى سيكونُ مستحيلاً فى المستقبلِ ؟!!

فى مدينةِ والت ديزنى العلميةِ فى فلوريدا ، وقفَ الإنسانُ الآلِىُّ مع زميلتِهِ الآليةِ ، يقدمانِ إلينا المُؤلِّفَ " جول ڤيرن " وهو يقابلُ الروائِىَّ " هـ . ج . ويلز " . وڤيرن هو الذى كتبَ رواياتِ " ٨٠ يومًا حولَ العالمِ " ، و " أولُ إنسانٍ يصلُ إلى القمرِ " ، والذى تنبَّأ باختراعِ الغوَّاصاتِ والسياراتِ . وويلز هو الذى كتبَ روايةَ " آلةَ الزمن " ، التى تعودُ بنا إلى الماضى لنعيشَ فيه ، أو تحملُنا إلى المستقبلِ لنتعرَّفَ عليه .



قالَ ڤيرن فى دهشةٍ لويلز: " إننى أكتبُ عن المُحتمَلِ أو المُمكِنِ ، لكنَّكَ بقصةِ آلةِ الزمنِ تكتبُ عن المستحيلِ . "

وشعرَ ويلز بدهشةٍ أشدَّ وقالَ : " هل تظنُّ أن هناكَ مستحيلاً ؟! "

وقبل أن يشتدَّ بينهما النقاشُ وهما يقفانِ سنةَ ١٩٠٠ أمامَ معرضِ باريس الدوليِّ للاكتشافاتِ الحديثةِ ، أخذَهما الإنسانُ الآلِيُّ وزميلتُهُ ، ليعيشا مع ما تمَّ من اختراعاتٍ واكتشافاتٍ خلالَ القرنِ العشرينَ ، من طائراتٍ وتليفزيون وصواريخَ وكمبيوتر وأقمارٍ صناعيةٍ ، والوصولِ إلى القمرِ ، والنزولِ إلى أعمقِ أعماقِ البحرِ .



هنا نظرَ ويلز إلى فيرن وهما يركبانِ هيلكوبتر تطيرُ فوقَ ناطحاتِ السحابِ ، وقالَ :

" التقدُّمُ الذى حدثَ فى ١٠٠ سنةٍ فقط ، أكثرُ كثيرًا من المُستحيلِ الذى كنْتَ تقولُ لى عنه سنةَ ١٩٠٠ . "

مدينة فى أعماق الماء

" سفينةُ فضاءٍ اسمُها الأرضُ " هذا هو اسمُ أضخمِ كرةٍ معدنيةٍ فى العالمِ ، تواجهُنا فى مدخلِ مدينةِ والت ديزنى العلميةِ بأمريكا .

فى داخلِ تلكَ الكرةِ الهائلةِ ، التى يبلغُ ارتفاعُها ٦٠ مترًا ، نقومُ برحلةٍ تبدأ مع الإنسانِ فى بدايةِ الحضارةِ ، حتى نصلَ إلى احتمالاتِ المستقبلِ ، ومن أهمِّها ، حياةُ الإنسانِ فى مدنٍ تحتَ أمواجِ البحرِ وعلى قاعِ المحيطِ .

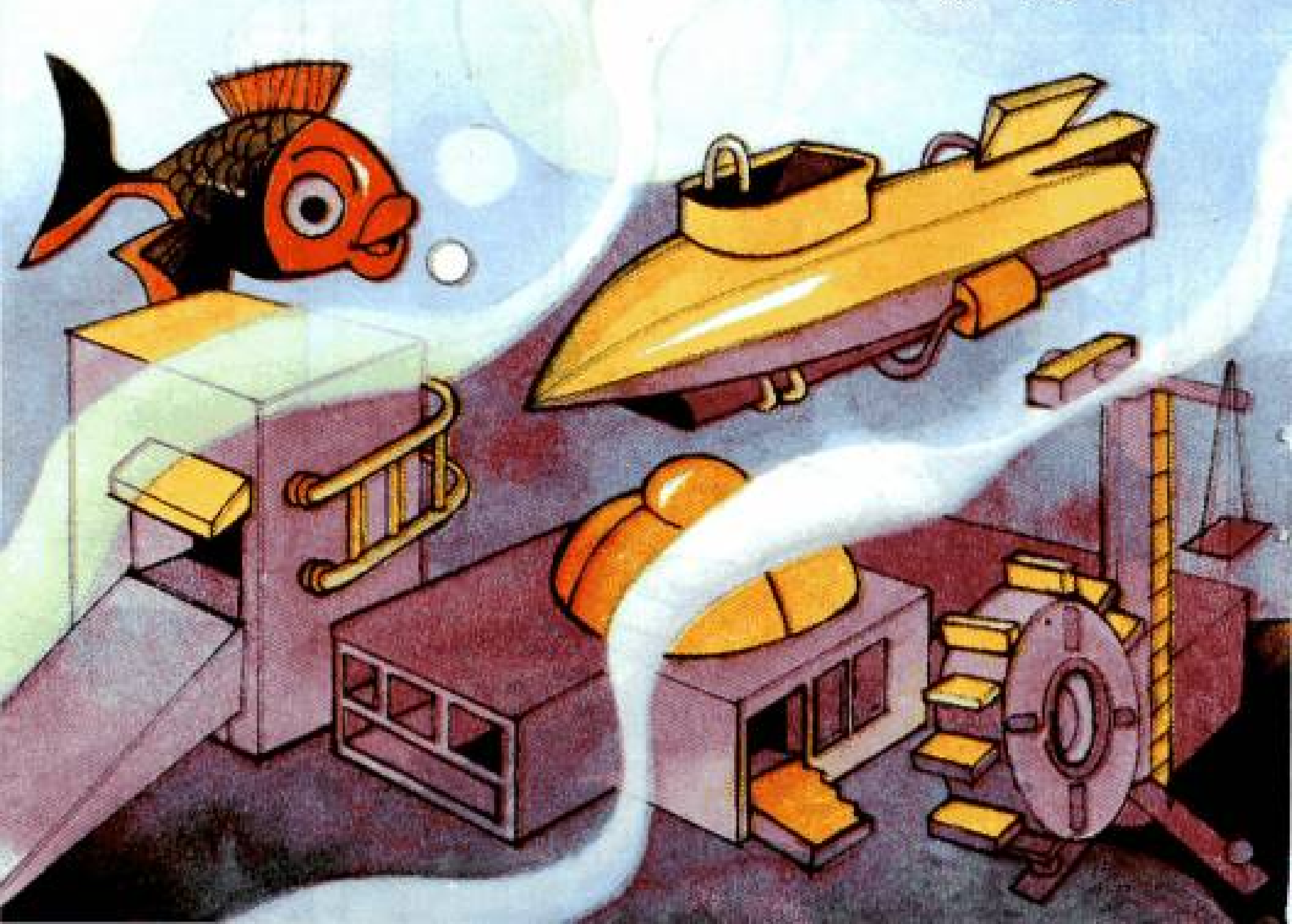
فأكثرُ من ثلثَىْ سطحِ كوكبِ الأرضِ مُغطًّى بالماءِ . وقاعُ المحيطاتِ غَنِىٌّ بالبترولِ ، والغازِ ، والأسماكِ ، والماسِ ، والنحاسِ ، والألمنيومِ ، والحياةِ النباتيةِ .



وفى رحلةِ المستقبلِ ، شاهَدْنا الإنسانَ وقد نجحَ فى إقامةِ مُدُنٍ يعيشُ فيها تحتَ الماءِ ، وانطلقَ يستخدمُ ما حولَهُ من مناطقَ لزراعةِ النباتاتِ التى تنمو فى الماءِ ، ولاستخراجِ المعادنِ .

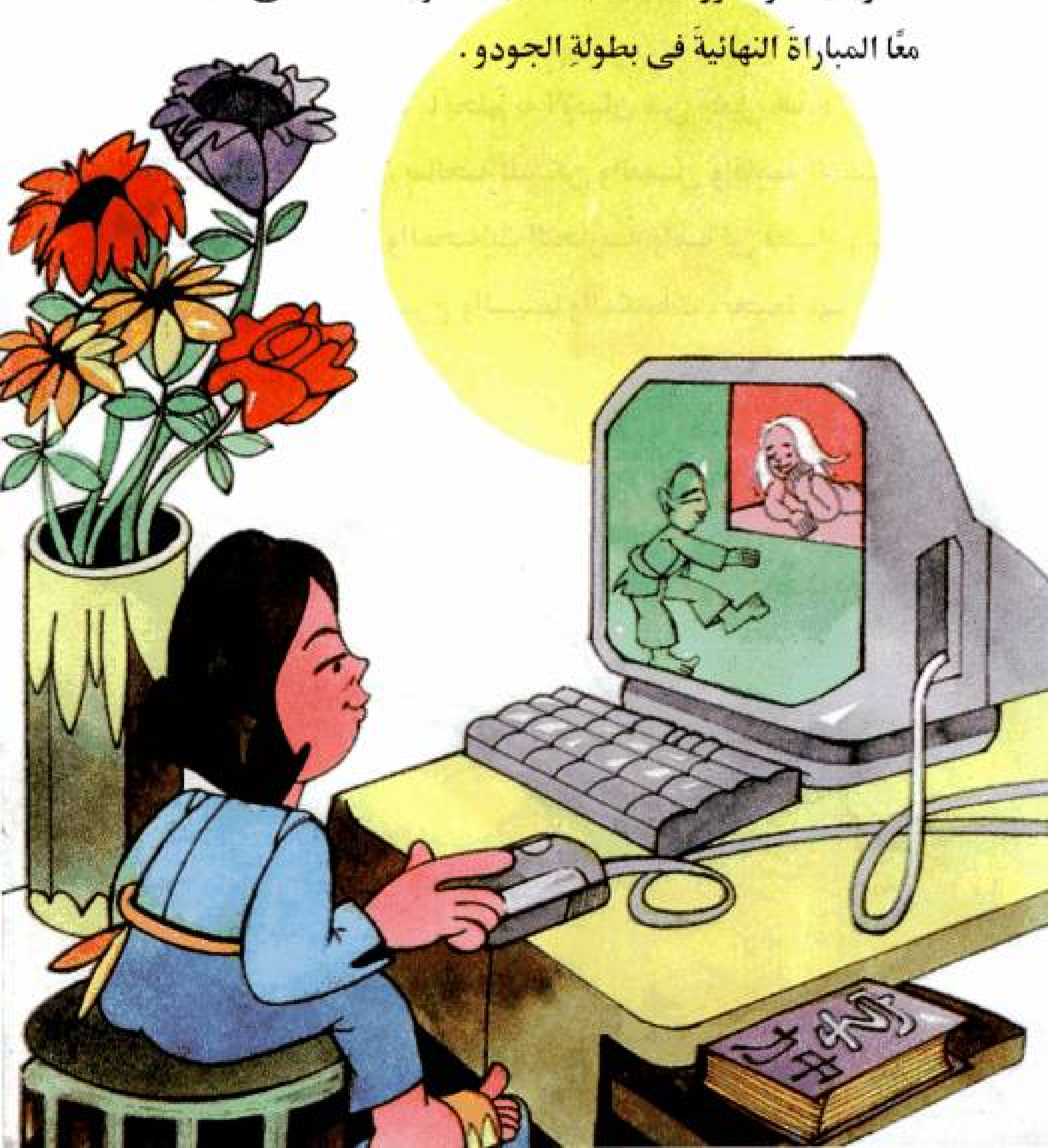
ولكى يتنقَّلَ من مدينةٍ إلى أخرى ، يستخدمُ غواصاتٍ تتحمَّلُ ضغطَ الماءِ الهائلَ .

وهكذا تجسَّمَ أمامَنا ما يحلمُ به الإنسانُ من جعلِ هذه المدنِ المائيةِ بيئةً متكاملةً ، صالحةً للسكنِ والعملِ وإقامةِ المصانعِ والفنادقِ والمدارسِ والمحلاتِ التجاريةِ وأماكنِ قضاءِ وقتِ الفراغِ ، مثل قاعاتِ المسرحِ والسينما والمكتباتِ ، يُحيطُ بها الماءُ من كلِّ جانبٍ .

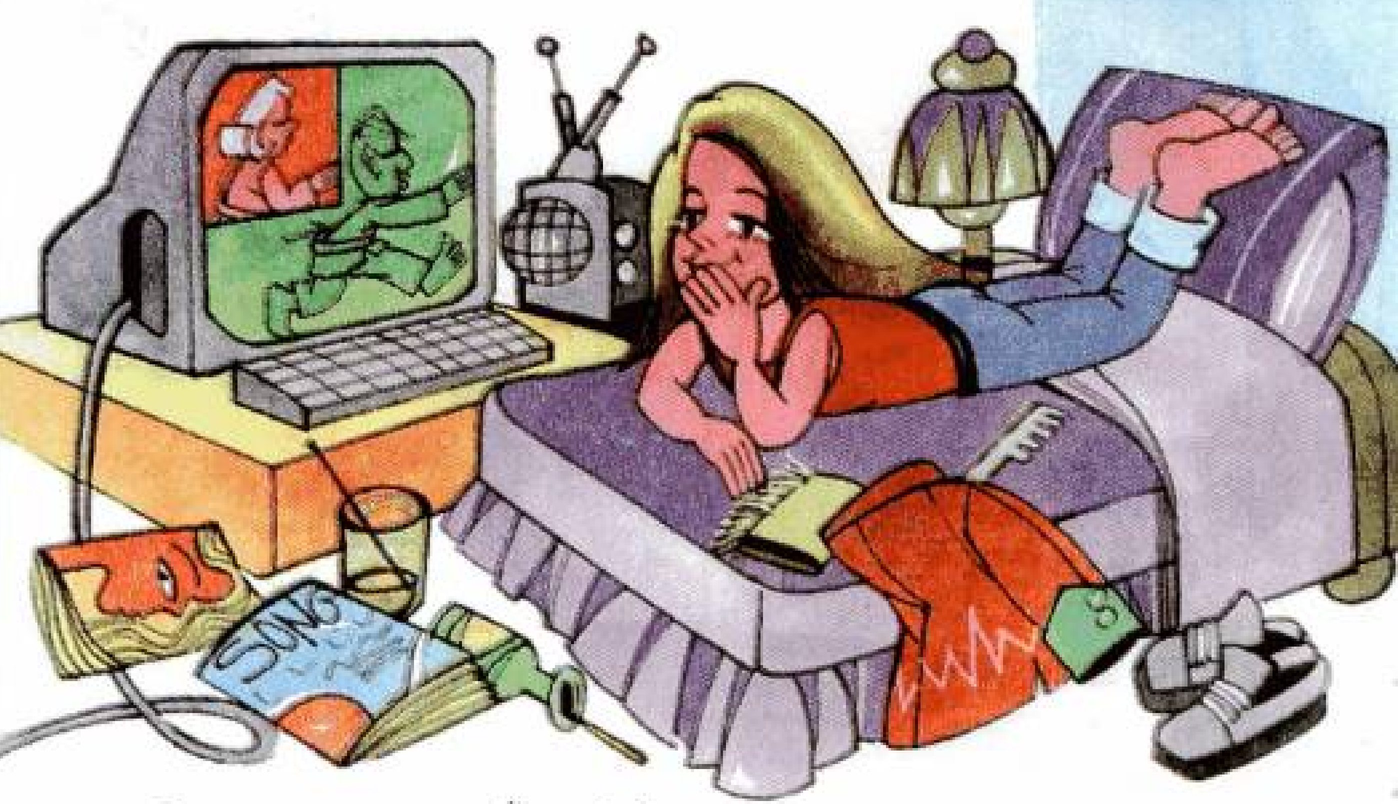


معًا وبينهما ٢٠ ألف كيلومتر

فـى مدينـةِ والـت ديزنـى العلميـةِ ، شـاهَدْنا " جـين " الفتـاةَ الأمريكيةَ ، و " أوزاكا " ، الفتاةَ اليابانيةَ ، وقد اتفَقتا علـى أن تشاهدا معًا المباراةَ النهائيةَ فى بطولةِ الجودو .



وانطلقتْ الاثنتانِ تُصفّقانِ وتضحكانِ وتتبادلانِ النكاتَ ، رغم أنَّ الأمريكيةَ كانَتْ على سريرِها في غرفةِ نومِها المبعثرةِ الأثاثِ بنيويورك ، واليابانيةَ في غرفةِ معيشتِها الصغيرةِ المُنسّقةِ المُرتبةِ ببيتِها في طوكيو باليابانِ ، تجلسُ مُتربّعةً أمامَ شاشةِ الكمبيوتر التي تُشبِهُ شاشةَ التليفزيون ، وأمامَها لوحةُ مفاتيحِ الكمبيوتر المُتّصلِ بالقمرِ الصناعيِّ ، وهو ما يُشبِهُ الشاشةَ ولوحةَ المفاتيحِ أمامَ صديقتِها الأمريكيةِ .



وفي ركنٍ من الشاشةِ ، كانَتْ كلٌّ منهما ترى صورةَ الأخرى ، وتُوجِّهُ إليها الحديثَ وهي تُتابِعُ ملامحَ وجهِها وانفعالاتِها .

وفي بقيةِ مساحةِ الشاشةِ ، تشاهدان المباراةَ التي تتابعانِها في حماسٍ .

وفي الفاصلِ بين شوطي المباراةِ ، داسَتْ كلٌّ منهما على زرٍّ خاصٍّ ، فملأتِ الشاشةَ صورةُ كلٍّ منهما مع حجرتِها ، وانطلقتا في حديثٍ مُتشعِّبٍ ، إلى أنِ استأنفَ اللاعبانِ المباراةَ ، فعادَتْ صورةُ كلٍّ منهما إلى ركنِ الشاشةِ .



وهكذا ألغى " قمرُ الاتصالاتِ " المسافاتِ ، ونقلَ كلَّ صديقةٍ في لمحةٍ إلى بيتِ الأخرى ، رغم أن بينهما المحيطَ الهادي بأكملِه ، لمسافةِ عشرين ألف كيلومترٍ !!